

السيئات والمحرمات من كبائر الذنوب

وقد ورد في بعض الأحاديث: { ما أخذ الله قوما إلا عند غرتهم وغفلتهم وسلوتهم } والأخذ هنا العقوبة، أي: ما عاقبهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر إلا بعد أن يركنوا إلى الدنيا ويطمئنوا إليها، ويطنوا أنهم يتمتعون فيها. وإقرأ قوله تعالى: { قَلَمًا عَتَوْا عَنْ مَلَأُوهَا عَنْهُ فَلَمَّا لَهُمْ كُتُبًا قَرَدَةً حَاسِبِينَ } سورة الأعراف: 166 وإقرأ قول الله تعالى عن الذين مضوا: { قَلُولًا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَصَوَّرُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَبَّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَلَمًا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرَجُوا بِمَا أُوْتُوا أَحَدْتَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } سورة الأنعام: 43، 44 و { أَحَدْتَاهُمْ بَعْتَهُ } يعني على حين غرة وعلى حين غفلة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أو أخذهم بالتدريج وعاقبهم عقوبة بطيئة لم يتفطنوا لها حتى بغتهم أمر الله. وهذا ونحوه يدل على أن السيئات والمحرمات من كبائر الذنوب وأن بسببها تنزل العقوبة العاجلة أو الآجلة، وإذا أمهل للمعاصي ومات وهو في طغيانه وعلى كفره وعنده وظلمه وعدوانه فلا يأمن أن يعاقب في الآخرة فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى. وكثيرا ما يذكر الله العذاب الأخروي الذي هو عذاب النار وبئس الفرار، وذلك لتخويف العباد حتى يعودوا إلى الحق ويعبدوا ربهم وحده لا شريك له، قال تعالى: { ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ قَاتِلُوا } سورة الزمر: الآية 16 . فيجب علينا أن نخاف من عذاب الدنيا أن يعاجلنا الله به، كما عاجل الأمم السابقة الذين عتوا وبغوا وطمغوا وتعدوا، أو نخاف من عذاب الآخرة إذا بقينا على هذه المعاصي والمحرمات، فنخاف أن يعاقبنا الله عقوبة أخروية وهي أشد وأبقى من عقوبة الدنيا. هذا ما أحب أن أقوله في آثار الذنوب والمعاصي، وللذنوب آثار كثيرة وعظيمة وقد قص الله تعالى علينا عقوبة الذين كذبوا وكيف أخذهم لما كذبوا ومكروا وردوا رسالته على رسله، فأنزل بهم أنواع العقوبات التي ذكرها في كتابه العزيز.